نشأة الحركة الإباضية

تأليف

الدكتور عوض محمد خليفات

استاذ التاريخ بالجامعة الاردنية

١٩٧٨ م

تصـــــدير

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد استرعى انتباهي ـ مـذ كنت طالبـا في السنة الجامعية الأولى ـ موضوع الفرق الاسلامية، تاريخا وعقيدة ٠ ومع توالي الأيام والسنين أدركت خطورة الدور الذي لعبته هذه الاحزاب والفرق في التاريخ الاسلامي ، ابتداء من الفتنة في عهد الخليفة عثمان وحتى يومنا هذا ٠

وقـد حاولت في هذا الكتاب أن ألقي الضوء على بعض الجوانب الخاصة باحدى هذه الفرق ، وهي الفرقة الاباضية التي نجحت في تكوين دول خاصة بها كان لها دور هام في التاريخ الاسلامي ٠ واخترت فترة التكوين والتأسيس في البصرة ، وهي الفترة المعروفة عند الاباضية باسم طور الكتمان ، وذلك لان هذه الحقبة من تاريخ الاباضية لم تحظ بدراسات عميقة ، ولم يصدر ـ فيما أعرف ـ أي بحث متخصص في هذا الموضوع ٠ وقد انبريت لهذا العمل يحدوني الأمل بأن أؤدي واجبا نحو جانب هام من تراث أمتنا المجيدة ٠ واضعا نصب عيني أن تاريخنا كله ملك لنا ، ويجب أن لا نغض الطرف عن أي جزء أو فترة منه ٠فما هو جيد يجب أن يكون لنا مثلا طيبا وقدوة حسنة ، وما هو سيء يجب ان يكون لنا درسا مفيدا وعبرة واعظة ٠

وسيرى القارىء أنني انطلقت في دراسة الموضوع بروح علمية مجردة خالية من الهوى والتعصب ٠ وأثبت مـا توصلت اليـه نتيجة الـدرس والاستقصاء والمقارنة والتحليل ، وأفدت من الكتب والمؤلفات الاباضية على اختلافها وتنوعها ٠ وعلى الرغم من ذلك فلا أجزم أن الزلل والخطأ قد فارقاني في كل رأي قلته أو نتيجة توصلت اليها رغم اجتهادي في تجنبهما ما استطعت٠ ولكنني على يقين من أن هذه الدراسة ستثير اهتمام الباحثين في التاريخ الاسلامي ، آملا منهم أن ينبهوني الى مواطن الزلل والخطأ ، ويدلوني على الطريق الصحيح ان كنت قد أخطأت السبيل ٠

المؤلف
عوض خليفات

عمـــان
كانون ثاني ١٩٧٨

ثبت المحتويات

	ص
الباب الاول :	
الفصل الاول ـ دراسة المصادر ٠	٥ ـ ٢٥
الفصل الثاني ـ الدراسات الحديثة ـ عرض وتحليل ٠	٢٦ ـ ٤٣
الباب الثاني :	
الفصل الاول ـ تطور الخلافة وأثرها في ظهور الخوارج	٤٤ ـ ٥٦
الفصل الثاني ـ تفسير الاباضية لنشأة الخوارج (مستمدا من المصادر الاباضية)٠	٥٧ ـ ٦٣
الباب الثالث : ظهور الخوارج المعتدلين ـ القعدة ٠	٦٤ ـ ٧٤
الباب الرابع : عبد الله بن اباض وتطور الحركة الاباضية ٠	٧٥ ـ ٨٥
الباب الخامس : جابر بن زيد الازدي ـ مؤسس الحركة ٠	٨٦ ـ ١٠٢
الباب السادس : أبو عبيده مسلم بن أبي كريمة التميمي ـ منظم الحركة	١٠٣ ـ ١١٥
الباب السابع : انتصار الدعوة ٠	
الفصل الاول ـ تأسيس الامامة في الجزيرة العربية ـ اليمن وحضرموت ٠	١١٦ ـ ١٢٦
الفصل الثاني ـ تأسيس الامامة في الجزيرة العربية ـ عمان ١٢٧ ـ	١٣٢
الفصل الثالث ـ تأسيس الامامة في شمال افريقية وقيام الدولة الرستمية ٠	١٣٣ ـ ١٦٨
الخلاصة ـ	١٦٩ ـ ١٧١
الملاحق ـ	١٧٢ ـ ١٨٠
المصادر والمراجع ـ	١٨١ ـ ٢٠٠
الفهارس العامة ـ	٢٠١ ـ ٢٢٥
الخرائط ـ	٢٢٦

الباب الاول

المصادر والدراسات الحديثة ـ عرض وتحليـل

الفصل الاول ـ المصادر

الفصل الثاني ـ الدراسات الحديثة

الفصـــل الاول

المصادر ـ عرض وتحليـل

لم تحظ الحركة الاباضية في طورها الاول باهتمام المؤرخين والمفكرين المحدثين وذلك لندرة المعلومات الواردة في المصادر المنشورة أو المخطوطات المعروفة ـ باستثناء الاباضية ـ ويبدو أن عدم وجود معلومات في المصادر غير الاباضية عن نشأة الحركة وتنظيمها في طورها السري خلال القرنين الاول والثاني الهجريين انما يعود لجهل مؤلفي هذا المصادر بهذا الموضوع ٠ وليس عجيبا ان نر ى مثل هذا النقص لدى غير الاباضية من المؤلفين القدامى ، نظرا للسرية التامة والتقية الدينية التي تبناها رواد الحركة وزعماؤها الاوائل مثل جابر بن زيد الازدي وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي ومن عاصرهما من أئمة الاباضية ومشايخها ٠ ولعل القارىء يتساءل : لماذا وصلتنا معلومات كثيرة عن فرق ودعوات سرية اخرى استعملت التقية وغالت في ذلك الى حد كبير مثل غلاة الشيعة والاسماعيلية والدعوة العباسية ايضا ، ولم تصلنا مثل هذه المعلومات عن الفرقة الاباضية ؟ من المرجح أن السبب يعود الى أن هذه الفرق قد كتبت عن نشأتها ونظمها وتطورها ووصلت الينا هذه الآثار فعرفنا الكثير من المعلومات عنها ٠ أما الفرقة الاباضية فلم يعط مؤرخوها اهتماما كبيرا لتاريخ الحركة السياسي في فترة الكتمان وكل ما يمكن للباحث أن يفعله هو جمع روايات مبعثرة في ثنايا الكتب الاباضية التي تتكلم عن الفقه والعقيدة الاباضية أو في كتب الطبقات والسير الاباضية التي تتحدث عن أبرز أئمة الحركة ورجالها ٠ ولكننا لا نعثر قط على مؤلف اباضي ألف تاريخا للحركة في طورها الاول ٠ ليس هذا فحسب بل ان المصادر الاباضية تعطي معلومات أقل تفصيلا وأكثر نقصا وأخطاء من المصادر السنية عن الثورات الاباضية قبل تأسيس الامامة والدول الاباضية ٠ ولعل مرد ذلك يعود الى اهتمام المصادر الاباضية في المقام الاول بالعقائد الاباضية ومحاولة حفظها وتوريثها لاتباع الحركة جيلا بعد جيل ٠ أما الحركـــات السياسية

والنزاع العسكري بين الاباضية ومخالفيهم فلم تنل من المؤرخين الاباضيين اهتماما الا بعد تأسيس دولهم الخاصة بهم في شمال افريقية وفي عمان ٠

ولا عطاء صورة واضحة عن أهمية المعلومات الواردة في المصادر المختلفة فقد ارتأينا أن نصنف مصادر تاريخ الحركة الاباضية ـ منذ بداية نشأتها حتى تأسيس الامامة ـ الى مصادر سنية وشيعية واباضية ٠

١ ـ **المصادر السنية** : من أهم المصادر السنية التي تزودنا بمعلومات عن التاريخ السياسي للحركة الاباضية في القرن الثاني الهجري**كتاب أنساب الاشراف للبلاذري** ، الذي يعد ـ بلا شك ـ أوفى المصادر وأدقها فيما يتعلق بثورات الاباضية التي تزعمها عبد الله بن يحيى طالب الحق ، وقائده أبو حمزه الشاري في حضرموت واليمن والحجاز ضد مروان الثاني ، آخر خلفاء بني أمية ، والحقيقة أن البلاذري يزودنا بمعلومات مفصلة وافية ودقيقة حول هذا الموضوع حتى ليحس القارىء أنه يتتبع الحوادث ساعة بساعة ٠

ومقارنة معلوماته عن ثورة « طالب الحق » بالمعلومات الواردة في المصادر الاباضية حول الموضوع نفسه تظهر بوضوح تفوقه وامتيازه ٠ ويروي البلاذري معلوماته في هذا الصدد عن المدائني وأحيانا باسناد جمعي ٠ ويزودنا خلال حديثه عن هذه الثورة بخطب أبي حمزة الشاري في مكة والمدينة والتي تلقي ضوءا ساطعا على أفكار الاباضية ومبادئهم في تلك الفترة (١) ٠

وفي **كتاب فتوح البلدان** ، يزودنا البلاذري بمعلومات متناثرة حول تاريخ الاباضية في المشرق والمغرب وقد أشرنا اليها في ثنايا البحث ٠ أما عن تنظيم الحركة السري في البصرة فان البلاذري لا يمتاز على غيره من المصادر السنية ولا يزودنا بأية معلومات حول هذا الموضوع ٠ ولعل عدم توفر المعلومات لديه كان السبب الرئيسي في احجامه عن الحديث في هذه المسألة ٠

ومن المصادر التي تعطي معلومات عن ثورة الاباضية في حضرموت واليمن **تاريخ « خليفة بن خياط »** الذي يورد معلوماته نقلا عن «اسماعيل بن اسحق» الذي نقل بدوره عن « الزنجي بن خالد » الذي كان معاصرا للحوادث ٠(٢) وفي

بعض الاحيان يأخذ خليفة عن « المدائني » ٠ وعلى الرغم من ذلك فان الروايات التي أوردها « خليفة » عن ثورة « طالب الحق » مضطربة ولا تكفي وحدها لاعطاء صورة واضحة عن الثورة وطبيعتها ٠ بالاضافة الى ذلك فان

١ ــ البلاذري ، **انساب** ، مخطوط ، ج٢ ،ص ٣٧٣ وما بعدها .

٢ ــ خليفة بن خياط ، **تاريخ** ، ج٢، ص٥٨٥ .

« خليفة » يخطيء في ايراد اسماء بعض القادة والمشايخ الاباضية الذين اشتركوا في الثورة ، ويعطي أرقاما عالية جدا لعدد الجيش الاباضي ٠ ومن جهة أخرى فانه يزودنا بمقتطفات من خطب « أبي حمزة الشاري » في الحجاز ويورد قائمة بأسماء الشخصيات الحجازية والقرشية البارزة التي قتلت أثناء المعارك بين الجيش الاموي والاباضية مما يلقي ضوءا على طبيعة العناصر التي اشتركت في الثورة وعلى معارضة قريش لها ولما نادت به من مبادىء وأهداف ٠

ويورد « خليفة بن خياط » بعض المعلومات عن ثورات الاباضية في شمال افريقية ولكنها مقتضبة جدا ومضطربة ٠

ومن المصادر التي تحدثت عن ثورات الاباضية في الحجاز واليمن **تاريخ الرسل والملوك** « للطبري » الذي اعتمد على روايات منقولة عن « موسى بن كثير » مولى الساعديين ٠ ولكن هذه المعلومات ناقصة ومختصرة بالمقارنة مع المادة الغزيرة التي يوردها « البلاذري » في **أنساب الاشراف** ٠

أما « الازدي » صاحب **كتا بتاريخ الموصل** فيعطي معلومات مختصرة عن ثورة « طالب الحق » ٠ وتكمن قيمة معلوماته في أنه يشير الى اشتراك بعض الاباضية من الموصل في الثورة مما يدل على انتشار الافكار الاباضية هناك في فترة مبكرة ٠

أما عن ثورات الاباضية ونشاطهم في بلاد المغرب خلال القرنين الاول والثاني الهجريين فالمعلومات عنها متوافرة في المصادر السنية ٠ ومن أشهر هذه المصادر وأهمها كتاب **تاريخ افريقية والمغرب** المنسوب « للرقيق القيرواني » (ت ٤١٧ هـ /١٠٢٦م) ٠ كان « الرقيق » رئيسا لديوان الرسائل في الدولة الصنهاجية وبقي في منصبه نحو عشرين عاما ٠ وكتب مؤلفات عديدة حول مواضيع مختلفة (٣) ٠ وقد تناول في أحد هذه الكتب **تاريخ افريقية والمغرب** منذ الفتح الاسلامي حتى بداية القرن الخامس الهجري (٤) ٠ أما القطعة التي وصلت الينا والتي حققها « المنجي الكعبي » وعنونها تاريخ افريقية والمغرب ٠ فهي تتحدث عن تاريخ المغرب الاسلامي منذ ولاية «عقبة بن نافع الفهري» حتى حكم الامير الاغلبي « أبو العباس عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب » (ت ٢٠١هـ / ٨١٧م) ٠ ويزودنا « الرقيق » بمعلومات دقيقة ومفصلة حول ثورات الاباضية ضد ولاة الامويين والعباسيين ويأخذ الرقيق معلوماته في بعض الاحيان عن اشخاص عاصروا الاحداث واشتركوا

٣ ــ انظر المنجي الكعبي ، مقدمة **كتاب تاريخ افريقية والمغرب** ، ص ٢٢ــ٢٣ .

٤ ــ المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

فيهامثل «عمر بن غانم» الذي كان يسكن مدينة القيروان وتقلد بعض المناصب الرسمية ابان ولاية « حنظلة بن صفوان الكلبي » ٠ كما تولى منصب الحجابة «لعبد الرحمن بن حبيب الفهري» الذي تقلد ولاية افريقية بعد طرده «لحنظلة ابن صفوان» (٥) ٠ وفي أحيان أخرى يأخذ معلوماته عن «عبدالله بن أبي حسان اليحصبي» الذي يروي عن والده (٦) ٠ وكان معاصرا للحوادث التي جرت في افريقية خلال النصف الاول من القرن الثاني الهجري ، وهي الفترة التي شهدت ثورات الاباضية ضد الحكم الاموي والعباسي هناك ٠ ويقتبس « الرقيق » عن مؤلفين مشهورين آخرين مثل « المدائني » «والزبير بن بكار » « وعمر بن سلام » « وأبي عثمان المعافري » وغيرهم (٧) ٠

وفي الحقيقة ، فان روايات « الرقيق » تعد أوفى ما وصل الينا عن تاريخ افريقية والمغرب السياسي بشكل عام وثورات الخوارج الصفرية والاباضية هناك بشكل خاص ٠ الا أن القطعة التي وصلتنا يعتورها بعض النقص أحيانا (٨) ٠ كما أن الرقيق كغيره من مؤرخي السنة (باستثناء ابن الصغير) ، يجهل التنظيم السري للحركة الاباضية ولا يزودنا في كتابه هذا بأية معلومات في هذا الشأن ولا يشير الى كيفية ورود المذهب الى شمال افريقية وانتشاره بين سكانه وخاصة البربر منهم ٠

ومن المصادر الهامة عن تاريخ الاباضية في شمال افريقية كتاب **تاريخ الائمة الرستميين** « لابن الصغير المالكي » ٠ ونحن لا نعرف عن مولد ابن الصغير ونشأته شيئا ذا قيمة ، سوى انه كان يسكن مدينة « تاهرت » عاصمة الدولة الرستمية الاباضية التي أسسها « عبد الرحمن بن رستم » عام ١٦٢ هـ بعد كفاح مرير (٩) ٠

وقدعاصرهذا المؤلف فترة من تاريخ تلك الدولة ٠ ويبدو أنه توفي قبل سقوطها عام ٢٩٧ هـ على أيدي الفاطميين ٠ والدليل على ذلك أن كتابه ينتهي بامامة «ابي حاتم يوسف بن محمد» المتوفى عام ٢٩٤هـ ٠ عاش « ابن الصغير » في حي الرهادنة في تاهرت حيث كان يملك دكانا فيه (١٠) ٠ واتخذ من مسجد ذلك الحي مكانا لدروسه ومناظراته مع الاباضية واتباع الفرق

٥ — الرقيق ، ص ١٢٤ — ١٢٥ .

٦ — المصدر نفسه ، ص ١٠٧ .

٧ — المصدر نفسه ، ص ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٦٥ .

٨ — انظر مثلا ص ١٤٢ .

٩ — انظر ، الباب السابع ، الفصل الثالث .

١٠ — ابن الصغير ، ص ٤٦ .

والمدارس الاسلامية الاخرى كالمعتزلة ٠ ويعتبر كتاب « ابن الصغير » أقدم مؤلف كامل وصل الينا عن تاريخ الاباضية في شمال افريقية وخاصة تاريخ الدولة الرستمية ٠ وقد اعتمد في معلوماته على رواة من الاباضية نقلوا اليه معلوماتهم التي ورثوها عن أسلافهم ممن عاصروا الحوادث أو اشتركوا فيها ٠ وقد تحدث ابن الصغير باسهاب عن تأسيس مدينة تاهرت وتاريخ الائمة الرستميين ، كما تكلم عن انقسام الحركة الاباضية في شمال افريقية الى فرق مختلفة ٠ وتعد معلوماته حول هذه المواضيع أقدم وأفضل ما وصل الينا ٠ ولا يذكر اسماء رواته الا نادرا ، وممن ذكرهم شخص يدعى «أحمد بن بشير» وهو اباضي عاش في تاهرت (١١) ٠ وقد نقل بعض معلوماته عن كتاب وقع في يده من تأليف الامام الرستمي « عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم » (ت ٢٠٨هـ / ٨٢٤م) أجاب فيه على مسائل أشكلت على اباضية جبل نفوسة ٠ وقد سمي الكتاب فيما بعد **مسائل نفوسة الجبل** ، وكان الاباضية يتوارثونه ويدرسونه بعمق وروية ٠ وقد حصل عليه « ابن الصغير » من أحد أفراد العائلة الرستمية واستفاد منه ٠ وبذلك يقول ابن الصغير : « ٠٠٠ وكان هذا الكتاب في أيدي الاباضية مشهورا عندهم معلوما يتداولونه ٠٠٠ فأخذته عن بعض الرستميين فدرسته ووقفت عليه (١٢) ٠

كان « ابن الصغير » سنيا مالكيا على الرغم من أن عواطفه مع علي بن أبي طالب لا تخفى على من يقرأ كتابه (١٣) ٠ الا أن هذه العاطفة لم تجعل منه شيعيا كما يرى المستشرق البولندي ليفتسكي Lewicki (١٤) ٠ وأيا كان اتجاهه ومهما كان شعوره نحو أية شخصية اسلامية مرموقة فالثابت من كتابه أنه كان مؤرخا نزيها يتحرى الحق ويقوله ويبدي تقديره ويفصح عن أعجابه بالائمة العادلين من الرستميين رغم عدم قناعته بالمذهب الذي ينتمون اليه ٠ وقد شرح ابن الصغير أسلوبه ومنهجه في العبارة التالية : « ٠٠٠ وكانت لهم (الاباضية) قصص حكوها لا يمكن ذكرها الا على وجه ، وان تم الصدق فيها ولا أحرفها على معانيها ولا أزيد فيها ولا أنقص منها اذا النقص في الخبر والزيادة فيه ليس من شيم ذوي المروءات ، ولا من أخلاق ذوي الديانات ٠ وان كنا للقوم مبغضين ولسيرهم كارهين ولمذاهبهم مستقلين ٠

١١ — المصدر نفسه ، ص ٤٤ — ٤٥ .

١٢ — المصدر نفسه ، ص ١٧ .

١٣ — انظر مثلا ص ١٠ من كتابه حيث يعيب على الاباضية براءتهم من علي بن ابي طالب ولكنه لم يتطرق اطلاقا لبراءتهم من عثمان وطلحة والزبير وغيرهم من الصحابة .

١٤ — T. Lewicki, "les historiens, biographes et traditionnists ibadites wahbites de l'Afrique du Nord Vlle au xvi' siecle", **Folia Orientalia,** vol. 3 (1951 - 2), pp. 105 - 6.